

التحرير والتنوير

الرابع : حمله على الخصوصية . ومذهب الشافعي أنه يعمل بذلك في الحد للضرورة كالمرض وهو غريب لأن أحاديث النبي A وأقوال السلف متضادة على أن المريض والحمل ينتظران في إقامة الحد عليهما حتى يبرأ ولم يأمر النبي A بأن تضرب الحامل بشماريح فماذا يفيد هذا الضرب الذي لا يزجر مجرماً ولا يدفع ماثماً وفي أحكام الجصاص عن أبي حنيفة مثل ما للشافعي . وحكى الخطابي أن أبا حنيفة ومالكا اتفقا على أنه لا حد إلا الحد المعروف . فقد اختلف النقل عن أبي حنيفة .

(إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب [44]) علة لجملة (اركض برجلك) وجملة (ووهبنا له أهله) أي أنعمنا عليه بجبر حاله لأننا وجدناه صابراً على ما أصابه فهو قدوة للمأمور بقوله (اصبر على ما يقولون) A فكانت (إن) مغنية عن فاء التفريغ . ومعنى (وجدناه) أنه ظهر في صبره ما كان في علم الله منه . وقوله (نعم العبد إنه أواب) مثل قوله في سليمان (نعم العبد إنه أواب) فكان سليمان أواباً من فتنة الغني والنعيم وأيوب أواباً من فتنة الضر والاحتياج وكان الثناء عليهما متماثلاً لاستوائهما في الأوبة وإن اختلفت الدواعي . قال سفيان : أثنى الله على عبيد ابتلياً : أحدهما صابر والآخر شاكراً ثناء واحداً . فقال لأيوب ولسليمان (نعم العبد إنه أواب) .

(واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار [45] إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار [46] وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار [47]) القول فيه كالقول في نظائره لغة ومعنى .

وذكر هؤلاء الثلاثة ذكر اقتداء وائتساء بهم فأما إبراهيم عليه السلام فيما عرف من صبره على أذى قومه وإلقائه في النار وابتلائه بتكليف ذبح ابنه وأما ذكر إسحاق ويعقوب فاستطراد بمناسبة ذكر إبراهيم ولما اشتركا به من الفضائل مع أبيهم التي يجمعها اشتراكهم في معنى قوله (أولي الأيدي والأبصار) ليقترن النبي A بثلاثتهم في القوة في إقامة الذين والبصيرة في حقائق الأمور .

وابتدئ بإبراهيم لتفضيله بمقام الرسالة والشرعة وعطف عليه ذكر ابنه وعطف على ابنه ابنه يعقوب .

وقرأ الجمهور (واذكر عبادنا) بصيغة الجمع على أن (إبراهيم) ومن عطف عليه كله عطف بيان . وقرأ ابن كثير (عبدنا) بصيغة الإفراد على أن يكون (إبراهيم) عطف بيان من (

عبدنا) . ومآل القراءتين متحد .

والأيدي : جمع يد بمعنى القوة في الدين . كقوله تعالى (والسماء بنيناها بأيدي) في سورة الذاريات .

والأبصار : جمع بصر بالمعنى المجازي وهو النظر الفكري المعروف بالبصيرة أي التبصر في مراعاة أحكام الله تعالى وتوحي مرضاته .

وجملة (إنا أخلصناهم) علة للأمر بذكرهم لأن ذكرهم يكسب الذاكر الاقتداء بهم في إخلصهم ورجاء الفوز بما فازوا به من الاصطفاء والأفضلية في الخير .

فصارت النفوس درن من طهرناهم أي للتعدية فالهمزة خالصة جعلناهم : (أخلصناهم) و A E نفوسهم نقية من العيوب العارضة للبشر وهذا الإخلاص هو معنى العصمة اللازمة للنبوة .

والعصمة : قوة يجعلها الله في نفس النبي تصرفه عن فعل ما هو في دينه معصية الله تعالى عمدا أو سهوا وعما هو موجب للنفرة والاستصغار عند أهل العقول الراجحة من أمة عصره .

وأركان العصمة أربعة : الأول : خاصية للنفس يخلقها الله تعالى تقتضي ملكة مانعة من العصيان .

والثاني : حصول العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات .

الثالث : تأكيد ذلك العلم بتتابع الوحي والبيان من الله تعالى .

الرابع : العتاب من الله على ترك الأولى وعلى النسيان .

وإسناد الإخلاص إلى الله تعالى لأنه أمر لا يحصل للنفس البشرية إلا بجعل خاص من الله تعالى

وعناية لدنية بحيث تنزع من النفس غلبة الهوى في كل حال وتصرف النفس إلى الخير المحض

فلا تبقى في النفس إلا نزعات خفيفة تقلع النفس عنها سريعا بمجرد خطورها قال النبي A "

إني ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة "